العرب
الجمعة 2020/04/10
السنة 42 العدد 11673

الوباء فرصة للتخلّص من منظمات إقليمية جامدة

اختفاء الجامعة العربية طال أكثر مما يجب

بارقة أمل للسيطرة على الوباء

عرّت أزمة كوفيد- 19 تقاعس منظمات دولية في مهامها لعجزها عن إيجاد حلول خلاّقة لمواجهة هذا الوباء أو حتى تهدئة الصراع العالمي للحصول على الكمامات والمعدّات الطبية، ما يضع مستقبلها على المحك أمام خفوت دورها في ظل الأزمة الصحية الطارئة، كما في الملفات الإقليمية الساخنة، ويضع الوباء هذه المنظمات أمام اختبار حقيقي، وقد تخط كورنا نهاية تكتلات مثل الجامعة العربية التي تلزم مع كل أزمة الصمت، وقد تضح الحياة لدى المنظمات التي استوعبت دروس كورونا، وستشكل الأزمة الصحية فرصة لإنعاش دورها.

محمد أبوالفضل
كاتب مصري

تخرج المنظمات الإقليمية من رحم الحروب والتحديات التي تواجهها منطقة معيّنة أو دول عدة، وتلتف حول مجموعة من الأهداف الإستراتيجية، وتأتي التحالفات عندما تتوافر رغبات وقواسم مشتركة، وصعدت غالبية الاتحادات الراهنة مع انتهاء حقب فاصلة في التفاعلات الإقليمية والدولية أوجبت البحث عن صيغة تلبّي طموحات عدد من الدول، فكانت منظمة الأمم المتحدة، وجامعة الدول العربية، والاتحاد الأوروبي، والاتحاد الأفريقي، ناهيك عن حزمة من الاندماجات في مناطق مختلفة، في آسيا وأفريقيا وأميركا اللاتينية.

أصبح الاتجاه نحو التعاون سمة بارزة في النظام الدولي وزاد التعويل عليه خلال العقدين الماضيين. ولم تعُد هناك دولة أو منطقة من غير غطاء إقليمي تلتحف به.

وعندما قررت بريطانيا الخروج من الاتحاد الأوروبي بدا الموقف مغايرا للتصوّرات العامة التي تفضلها التكتلات، ولحسابات داخلية معقدة قررت المملكة المتحدة المضيّ في طريق "بريكست"، الأمر الذي أحدث هزة اقتصادية وسياسية في العلاقات بين لندن والمجموعة الأوروبية.

ومثّل الاجتماع الذي عقدته مجموعة العشرين عبر الفيديو كونفراس في 26 مارس الماضي، بارقة أمل في مجال تعاون الدول الكبرى، لكن نتائجه بدت دبلوماسية أكثر من اللازم، وحتى الإجراءات الاستثنائية التي اتخذت لدعم بنوك وهيئات مركزية لمواجهة المرض مشكوك في تنفيذها، مع انغماس كل دولة في همومها.

مع أن الجائحة واحدة إلا أن القلوب والعقول شتّى فالمرض لم يقتصر على دولة تستحق المساعدة، كما حدث مع اليونان عندما أعلنت إفلاسها وتكاتف معها الاتحاد الأوروبي لإنقاذها، وفي هذه المرة لم تتفق دولة على الحدّ الأدنى للتفاهم الجماعي حول آليات التعامل مع الأزمة، التي حوّلت غالبية الاتحادات الإقليمية إلى أشباح كيانات فاقدة الصلاحية، إما تختفي من هذا العالم، وإما تدبّ فيها الدماء لإنعاشها وفقا لما تفرزه كورونا من نتائج، لا تزال معالمها ملتبسة.

أوجدت الدول الكبرى والصغرى منهجها الطبي والاقتصادي والاجتماعي في التعامل مع الأزمة، ولا يخلو من مضامين سياسية. وطغت الإجراءات الفردية على غيرها. وكل دولة اختارت الصيغة التي تتواءم مع ظروفها المحلية في طرق العلاج، والصورة التي تريد تصديرها للآخرين، وتولى كبار المسؤولين مهمة التعبير عن تطوّرات الوباء في غياب شبه تام لفكرة التعاون الإقليمي والاحتفاظ بالحدّ الأدنى من العلاقات الثنائية في شكل مساعدات طبية ومشاورات علمية وأحيانا تراشقات سياسية.

> كل دولة اختارت الصيغة التي تتواءم مع ظروفها المحلية في طرق العلاج، والصورة التي تريد تصديرها للآخرين

اختفت الجامعة العربية أكثر ممّا يجب وعلى وشك أن تفقد دورها الرمزي في عقد اجتماعات استثنائية توحي بالزخم المعنوي في مواجهة الأزمات الطارئة، وربما هذه المرة الأولى التي تعرف فيها الجامعة قدرها العملي في قضية يعجز المجتمع الدولي عن حل ألغازها الدقيقة، وتضن على الشعوب العربية ببيان يشجّب ويدين كالعادة، وأدركت من تلقاء نفسها أن اليوم يوم حرب على الإنسانية لا يفلح معها استدعاء خطابات جوفاء إنشائية.

فضح كورونا عورة الجامعة العربية التي فقدت بريقها منذ سنوات، كما رسبت من قبل في حلّ أيّ أزمة إقليمية أو تسوية مشكلة ثنائية أو إحداث تقارب حول قضية مركزية، وتخلت عن موقفها الذي يوحي أنها موجودة على قيد الحياة، وهو التنديد بالصراخ والضجيج.

العالم مُقبل على تحوّلات تقتضي كيانات تستطيع التعامل مع المفاجآت، فما بالنا والجامعة ماتت إكلينيكيا منذ أدمنت الدوران في حلقة مفرغة مكرّرة في أزماتها وإخفاقاتها؟

تجسّد الجامعة العربية نموذجا صارخا للفشل في مواجهة القضايا المصيرية، لذلك جرى اختيارها كمثال، وما ينطبق عليها ينسحب بدرجة أقلّ على الاتحاد الأفريقي وكثير من الكيانات الإقليمية الهشة، فإذا كانت المنظمات الأكبر والأقوى لم تنجح في الاختبار فمن الطبيعي أن تفشل من هي أقلّ ما يفرض إعادة النظر في الجدوى والقيمة والمعنى الذي يقدّمه استمرار اتحادات إقليمية جامدة.

تشير المعطيات التي سلكتها نتائج انتشار كوفيد- 19 إلى أنّ هناك جدرانا تسقط وأخرى تنهض وعوالم سياسية واقتصادية تتشكّل وفرضيات عدّة تطال توصيف الدور الذي تلعبه هياكل مختلفة، ما يستوجب وضع كلها أو بعضها في مواجهة العواصف التي فجّرها بركان كورونا، فالمهام التي تقوم بها ونشأت من أجلها تتحلل أو تتراجع أمام المتغيّرات التي تظهر كل يوم، ويصعب تحديد وجهتها النهائية حتى الآن.

تتطلّب مقدمات المشهد البازغ في عالم كورونا قياس المشهد بعد خفوته ومعرفة حجم التغيّر الذي سوف يلحق بالدور الذي تقوم به الكثير من المنظمات الإقليمية. لا أحد يستطيع القطع بإلغاء هذا الدور تماما، سواء كان كبيرا أم صغيرا، معنويا أم ماديا، لكن المؤكد أن هناك إعادة تفكير في المهام الحيوية التي تقوم بها بعض الاندماجات، ومحاولات لترتيب سُلّم الأولويات.

حملت الكثير من الاتحادات الإقليمية جملة من الأهداف التي فرضت تكوينها أصلا ومعظمها يتعلّق بتحسين مستوى التعاون الاقتصادي والتنسيق الأمني والتفاهم السياسي، لإحراز مكاسب أو درء خسائر جماعية، وقد تحقق ذلك بنسب متفاوتة لم تكن قادرة على التعاطي مع الانعكاسات السلبية التي حملتها الرياح التي هبّت مع كورونا.

ربما تتمكّن بعض المنظمات الإقليمية من التكيّف مع الواقع الجديد ومتطلّباته المتنوعة ويعيد ربان السفن توجيهها إلى الناحية الصحيحة ورسم خارطة من الأهداف المبتكرة تستطيع عبور التأثيرات الغامضة التي ستترتب عن الأزمة.

وهنا جوهر المشكلة التي من الضروري التغلّب عليها وهي إجراء تعديلات في البروتوكولات الأساسية التي ظهرت مع التكوين.

تتراوح أشكال المنظمات الإقليمية بين الاقتصادية والسياسية والدفاعية والأمنية، فضلا عن الصحية والاجتماعية والإنسانية الموزعة حسب المناطق وتتبع غالبيتها الأمم المتحدة، وهناك قائمة طويلة منها تقف شاهدة على مستوى النجاح والفشل وكلها سيلحقها التغيير لتتوافق مع التطورات.

قد يكون النجاح حليفا للاتحادات والاندماجات التي تستوعب دروس كورونا لذلك ستتطور منظمات وتختفي أخرى من الخارطة الإقليمية، وربما يصبح الوباء فرصة للتخلّص نهائيا من منظمات متقاعسة، أو يضعها أمام المسؤولية لإعادة اكتشاف دورها، فقد تقضي الجائحة على كيانات بقيت لأجل البقاء، دون أن تظهر بصمات ملموسة.

تزايد عدد الوفيات لا يمنع الحكومات من وضع خطط الخروج من عزلة كورونا

مارينا فيلينوف ووري هاينانت

نيويورك – لم يمنع تزايد حالات الوفيات الناجمة عن فايروس كورونا في العالم الحكومات من وضع خطط للخروج من حالة العزلة التي فرضها الوباء والتفكير جديا في العودة لنسق الحياة المعتاد واسترجاع الحركية الاقتصادية والاجتماعية.

وعلى سبيل المثال، بدأت الولايات المتحدة وحكومات دول أخرى مثل الصين وأوروبا بتصور استراتيجية للخروج من عزلة كورونا، بالتفكير في تخفيف القيود المفروضة لاحتواء الوباء.

وعلى الرغم من الأمل الذي بعثه رفع الصين العزل عن مدينة ووهان، البؤرة التي انطلق منها فايروس كورونا، الذي خلف أكثر من 75 ألف وفاة في العالم وأدى إلى وضع رئيس الوزراء البريطاني بوريس جونسون في العناية المركزة، إلا أن خبراء في شؤون الأوبئة يطالبون برفع العزل تدريجيا لتجنّب "موجة ثانية" من الإصابات بالفايروس.

وقال كبير خبراء الأوبئة الفرنسيين جان فرانسوا دلفريسي في مقابلة إذاعية "عند انتهاء فترة العزلة، لن ننتقل حينها من الأسود إلى الأبيض، ولكن من الأسود إلى الرمادي".

وفي الوقت نفسه، يحذر السياسيون ومسؤولو الصحة من أنه في حين أن مستويات الوفيات، وحالات العدوى الجديدة قد تتوقف في أماكن مثل إيطاليا وإسبانيا ونيويورك، فإن الأزمة لم تنته بعد ويمكن أن تحدث موجة ثانية كارثية تضرب الدول إذا تخلت عن إجراءاتها الوقائية بشكل مبكر جدا.

وذكر جيمس سلاك، المتحدث باسم رئيس الوزراء البريطاني بوريس جونسون، بالمخاطر العالية للمرض. لافتا إلى أن "جونسون أمضى ليلة ثانية في العناية المركزة لكن حالته مستقرة ويستجيب للعلاج".

وفي مؤشر إلى بدء عودة الحياة إلى طبيعتها، رفعت الصين ليل الثلاثاء- الأربعاء الإغلاق عن مدينة ووهان، المدينة الصناعية الصينية التي يبلغ عدد سكانها 11 مليون نسمة، مما يسمح للناس بحرية الحركة.

واعتُبرت إعادة الفتح هذه علامة إيجابية لكنها عكست أيضا أدوات الرقابة وسلطة الإكراه في الدولة الشيوعية. وسيتعين على سكان مدينة ووهان استخدام تطبيق الهاتف الذكي الذي يظهر أنهم بصحة جيدة ولم يكونوا على اتصال مؤخرا بأي شخص تم التأكد من إصابته بالفايروس. وحتى في ذلك الحين، ستبقى المدارس مغلقة، كما لا يزال الناس يخضعون لتجارب قياس درجات الحرارة عند دخولهم المباني، ويتم تشجيعهم على ارتداء الأقنعة بشدة.

ورغم العزل وبدء عودة الحياة إلى طبيعتها في ووهان، يواصل كوفيد19- تفشيه، خصوصا في الولايات المتحدة حيث أودى بحياة قرابة ألفي شخص في 24 ساعة، في عدد قياسي.

وعلى الرغم من ارتفاع عدد الوفيات تدرس واشنطن توصيات جديدة تشمل إجراءات العزل، وتهدف إلى تسهيل عودة أولئك الذين تواصلوا مع شخص مصاب بالفايروس إلى العمل في حال لم تكن لديهم أعراض.

وكشف شخص مطلع على مسودة التوصيات أنه في ظل التوجيهات المقترحة الموجهة إلى العاملين في المجالات الحرجة، فإنه سيتم السماح لهؤلاء الأشخاص بالعودة إلى العمل إذا قاموا بقياس درجة حرارتهم مرتين في اليوم وارتداء القناع الواقي.

من جهته أوضح الدكتور أنتوني فوسي، كبير خبراء الأمراض المعدية في البلاد، أن إدارة ترامب تعمل على وضع خطط لإعادة فتح البلاد وإعادة تشغيل الاقتصاد وسط بصيص من الأمل في أن التباعد الاجتماعي ساعد على وقف انتشار الفايروس.

> خبراء في شؤون الأوبئة يطالبون برفع العزل تدريجيا لتجنّب موجة ثانية من الإصابات بالفايروس

واستدرك في حديثه لبرنامج فوكس نيوز "هذا لا يعني أننا سنفعل ذلك الآن. ولكن هذا يعني أننا بحاجة إلى الاستعداد للتخفيف من ذلك.. هناك الكثير من الأنشطة والخطط الجارية".

وفي أوروبا، يجري حاليا التفكير بشأن طريقة رفع تدابير العزل بشكل تدريجي، وتسعى الدول الأوروبية إلى الخروج من العزل لكن بأمان. ومن المتوقع أن يعلن رئيس الوزراء الإيطالي جيوسيبي كونتي في الأيام المقبلة المدة التي ستستمر فيها حالة إغلاق البلاد وسط توقعات بإمكانية تخفيف بعض القيود.

وتشمل الاقتراحات التي يتم طرحها في إيطاليا إصدار شهادات مناعة، الأمر الذي يتطلب الخضوع لاختبارات الدم للأجسام المضادة، والسماح للعمال الأصغر سنا بالعودة أولا، حيث يتمتعون بمستويات مناعة أعلى تجنبهم الإصابة بالمرض.

وفي إسبانيا، قالت وزيرة الميزانية ماريا خيسوس مونتيرو إن الإسبان سيستعيدون "حياتهم الطبيعية" تدريجيا اعتبارا من 26 أبريل فصاعدا، لكنها حذرت من أن "تخفيف قيود الحظر سيكون منظما جدا لتجنب تفشي العدوى مرة أخرى". واعتمدت الحكومة حتى الآن بعض الإجراءات المشددة التي يمكن تطبيقها بمجرد أن يتم تخفيف الحظر، مشددة على أنه سيتم إملاؤها من قبل الخبراء.

وبالمثل، بدأت السلطات الفرنسية تتحدث بصراحة عن التخطيط لنهاية فترة الحظر التي من المقرر أن تنتهي حاليا في 15 أبريل، دون إعطاء تفاصيل.

وقال ديلفريسي الفرنسي، الذي يقود المجلس العلمي الذي يقدم المشورة للرئيس، إن هناك ثلاثة أشياء ضرورية يجب على الناس اتباعها عند البدء في مغادرة منازلهم بانتظام: أبرزها أن تكون هناك اختبارات متعددة لمعرفة ما إذا كان الناس مصابين. مشيرا إلى أن الفرنسيين سيحتاجون إلى تبني عادة ارتداء الأقنعة في الخارج.

ويحث الاتحاد الأوروبي الدول الأعضاء على العمل معا لمعالجة مخاوف الخصوصية المتعلقة بتطبيقات الهواتف الذكية لتتبع الفايروسات مع قيام الحكومات بتطوير أدواتها الرقمية الخاصة. وتستخدم التطبيقات -التي تم إطلاق بعضها بالفعل- وهي بيانات موقع الهاتف الذكي لمراقبة تحركات حاملي الفايروس الخاضعين للحجر الصحي.

واعتبر الاتحاد الأوروبي أن استخدام مثل هذه التكنولوجيا يثير تساؤلات حول "الحقوق والحريات الأساسية".

ويهدد الوباء بكساد اقتصادي كبير، الأمر الذي يحفز الدول على العودة إلى حياتها الطبيعية خشية المزيد من الأضرار الاقتصادية.

وحذر بنك فرنسا من أن الاقتصاد الفرنسي دخل مرحلة الركود، مع انخفاض يقدر بـ6 في المئة في الربع الأول مقارنة بالأشهر الثلاثة السابقة، بينما تواجه ألمانيا، القوة الاقتصادية الأوروبية، ركودا عميقا.

كما يمكن لاقتصاد اليابان، ثالث أكبر اقتصاد في العالم، أن يتراجع بنسبة قياسية تبلغ 25 في المئة في هذا الربع من العام، وهو أعلى مستوى منذ بدء تتبع الناتج المحلي الإجمالي في عام 1955.

ووقع أزمة كورونا أشدّ على الولايات المتحدة مع ارتفاع وفيات كوفيد- 19. حيث عانت مدينة نيويورك من أسوأ أيامها حتى الآن وهو الثلاثاء الماضي، مع ارتفاع عدد الوفيات إلى ما يزيد عن 4 آلاف، وهو عدد يزيد عن المئات الذين قتلوا في حادثة 11 سبتمبر.

وفي جميع أنحاء العالم، تم تأكيد إصابة أكثر من 1.4 مليون شخص وتوفي أكثر من 80 ألف شخص.

وجه فيورينزو تاغليبوي، الرئيس التنفيذي لمجموعة "سيك نيوغيت"، رسالة إلى العالم العربي من مدينة ميلانو الخاضعة للحجر الصحي، قال فيها "نشرنا العديد من القصص الحقيقية عن الإيطاليين الذين يعملون معا للعيش وإنقاذ بلادنا الجميلة، التي تربطها علاقات خاصة مع الدول العربية التي آمل أن تتعرف على تجربتنا الحالية وتتعلم منها"، داعيا الدول العربية إلى أن تروي قصصها وأخبارها حول مواجهة هذا الوباء بنفسها وألا تنتظر جهة أخرى لتروي وتنشر أخبارا غير صحيحة عنها".